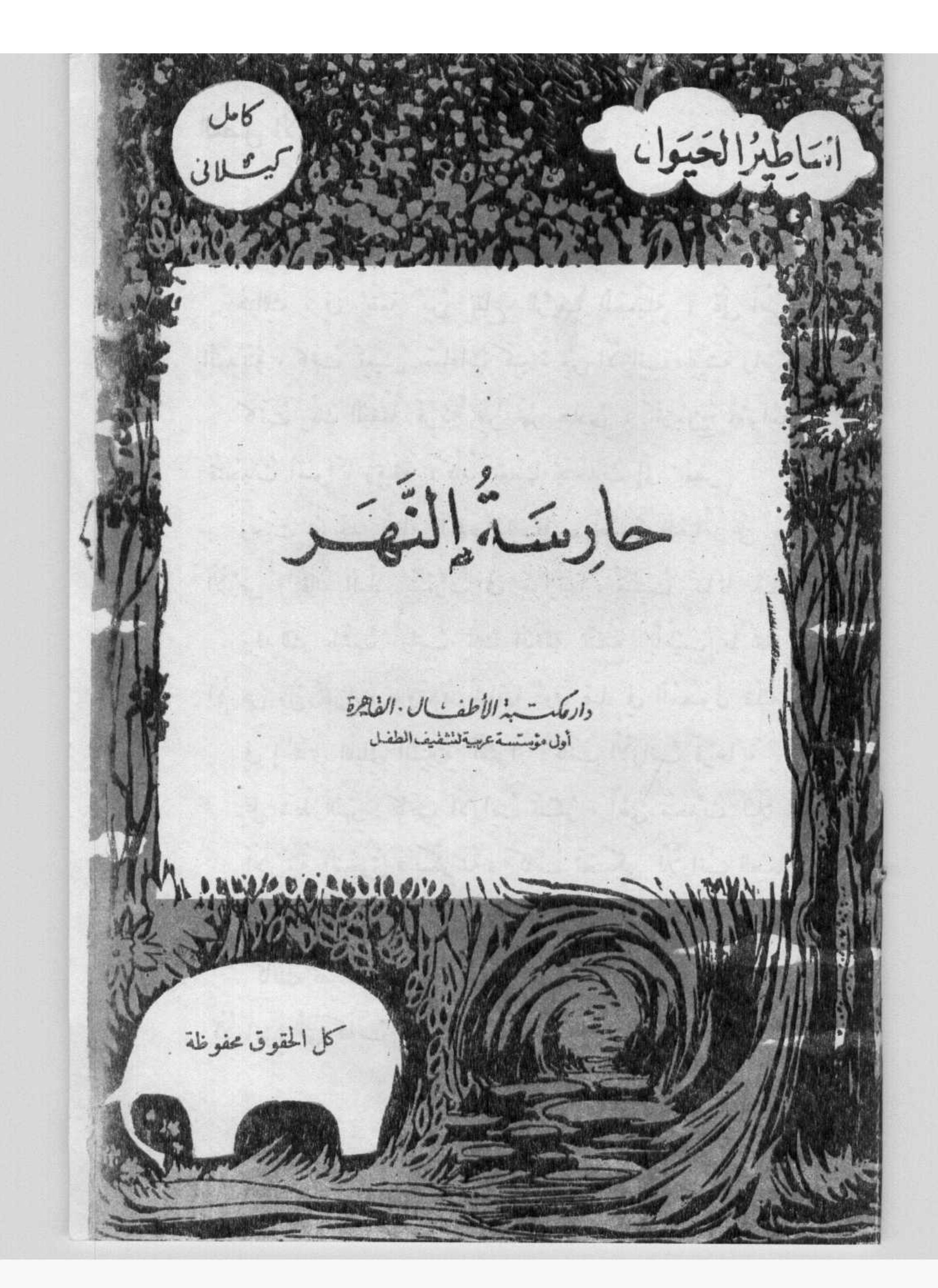

أساطير الحيوان
حارسة النهر
بقلم كامل كيلاني

أساطيرُ الحَيوانِ

بقلم :
كامل كيلانى

« كانت الأساطيرُ - ومازالتْ - مَبْعَثَ الإلهامِ ،
يُحلِّقُ القارئُ فى أجْوائها بخَياله ،
مُرتفعا عنِ الواقعِ بجَفافه وإجْدابه .
وكما كانت الحكاياتُ على ألسنة الحيوانِ
مَنْهجًا فكريًّا عالميًا حفَلت به لُغاتُ العالَم القديم
- إذ تجلَّى ذلك فى الآداب الهنديَّةِ والآدابِ الفارسيةِ -
كذلك كان هذا المَنْهَجُ مُوحيًا
للأدبِ العربىِّ بأن ينسُجَ على منْواله .
ومِنْ هُنا : كان اختيارُ « كامل كيلانى »
لعالَمِ الحيوانِ مسْرحًا لإبرازِ أقاصيصَ حافلةٍ بالحكْمة
والمَوْعظة ، فى إطارٍ من المُشوِّقاتِ التى تسترعى الانْتباهَ
وتُثيرُ النَّشاطَ الفكرىَّ عند القارئ الصغير ،
وإن كان يأنَسُ بها كذلك القارئُ الكبير » .

محمد شوقى أمين
عضو مجمع اللغة العربية


أساطير الحيوان
كامل كيلاني
حارسة النهر
دار مكتبة الأطفال . القاهرة
أول مؤسسة عربية لتثقيف الطفل
كل الحقوق محفوظة

الفصل الأول

تِمْثالُ الْبُطولَةِ

١ – عَلَى شَطِّ النَّهْرِ

هُنالِكَ ، فِي بُقْعَةٍ مِنْ بِقاعِ الرِّيفِ الْجَمِيلَةِ ، عَلَى أَطْرافِ الْمَدِينَةِ ، كانَتْ تَعِيشُ جَماعاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَرانِبِ ، عِيشَةً راضِيَةً .

كانَتْ تِلْكَ الْبُقْعَةُ قَرِيبَةً مِنْ نَهْرٍ هادِئٍ ، تَتَرَجْرَجُ أَمْواجُهُ ، فَتُحْدِثُ أَصْواتًا رَقِيقَةً ، كَأَنَّ بَعْضَها يَتَحَدَّثُ إِلَى بَعْضٍ .

وَحَيْثُ يُوجَدُ الْماءُ الْعَذْبُ الصّافِي ، تَطِيبُ الْحَياةُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ؛ فَإِنَّ الْماءَ يَتَسَرَّبُ فِي جَوانِبِها ، فَتُنْبِتُ نَباتًا حَسَنًا .

وَلِذٰلِكَ عاشَتْ أَرانِبُ تِلْكَ الْبُقْعَةِ تَتَمَتَّعُ بِأَطْيَبِ ما تُخْرِجُ الْأَرْضُ مِنْ ثَمَراتٍ ، وَتَجِدُ طَعامَها دُونَ عَناءٍ فِي الْحُصُولِ عَلَيْهِ .

فِي إِحْدَى اللَّيالِي الْمُنِيرَةِ الْقَمْراءِ : كانَتِ الْأَرانِبُ فَرْحانَةً .

عَلَى شَطِّ النَّهْرِ : كانَتِ الْأَرانِبُ تَسْمُرُ ، أَعْنِي تَتَحَدَّثُ لَيْلًا .

الْأَرْنَبَةُ الْعَجُوزُ «عِكْرِشَةُ» كانَتْ تَحْكِي لِلْأَرانِبِ الصِّغارِ ، فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ، طَرائِفَ مِنَ الْأَسْمارِ ، وَعَجائِبَ مِنَ الْأَخْبارِ .

كانَتْ قَصّاصَةً بارِعَةً ، تَعْرِفُ الشَّيْءَ الْكَثِيرَ مِمّا وَقَعَ لِأَسْلافِها الْأَرانِبِ الَّتِي كانَتْ تَعِيشُ فِي هٰذا الْمَكانِ ، فِي قَدِيمِ الزَّمانِ .



٢ – ألفتى « دحـداح » أ

الأرنبُ الفتى : « دحداحُ » كانَ شديدَ الفرحِ في ذلكَ اليومِ .

كانَ في أوّلِ زيارةٍ منهُ لخالتِهِ « عِكرِشةَ » في تلكَ البقعةِ .

كانتْ هذهِ الزّيارةُ أوّلَ مرّةٍ يرى فيها شطَّ النّهرِ .

« دحداحُ » لمْ يُلاقِ خالتَهُ ، قبلَ ذلكَ اليومِ

لمْ يسبقْ لهُ أنْ يشهدَ النّهرَ قبلَ هذهِ الزّيارةِ .

« دحداحُ » وأمُّ « دحداحِ » وكذلكَ أخواتُ « دحداحِ »

كانوا يعيشونَ في مكانٍ بعيدٍ عنِ الشّطِّ ، فلمْ يروْهُ .

فتى الأرانبِ وأسرتُهُ حضروا إلى هذا الشّطِّ مُنذُ ساعاتٍ .

أرانبُ الشّطِّ كانوا فرحانينَ بقدومِ أولئكَ الضّيوفِ الأعزّاءِ .

« دحداحُ » وأسرتُهُ كانوا فرحانينَ برؤيةِ القاصّةِ العجوزِ .

« عِكرِشةُ » كانتْ فرحانةً كلَّ الفرحِ بلقاءِ أختِها « نبهانةَ »

ولقاءِ أسرتِها منَ الأرانبِ الذّكيّةِ النّشيطةِ مِنْ حولِها .

في تلكَ اللّيلةِ القمراءِ ، اجتمعتْ أرانبُ الشّطِّ ، تُحيّي الضّيوفَ

الأعزّاءَ الّذينَ حضروا للزّيارةِ مِنْ مكانِهمُ البعيدِ . .

أرانبُ الشّطِّ كانتْ شديدةَ الشّوقِ إلى سماعِ ما تقصّهُ العجوزُ

« عِكرِشةُ » ، بمناسبةِ قدومِ أقربائِها الضّيوفِ الأعزّاءِ .

٣ – التِّمثالُ

فَتى الأرانِبِ « دَحْداحُ » كانَ شَدِيدَ الإعْجابِ بِكُلِّ ما رَآهُ في رِحْلَتِهِ الَّتي قامَ بِها لِزِيارَةِ خالَتِهِ « عِكْرِشَةَ » .

أَعْجَبَتْهُ الْمَناظِرُ الَّتي شاهَدَها عَلى طُولِ الطَّريقِ ، مِنْ مَكانِهِ الْبَعِيدِ ، إلى شَطِّ النَّهرِ . . وَأَعْجَبَتْهُ مَشاهِدُ الطَّبيعَةِ حِينَ وَصَلَ إلى شَطِّ النَّهرِ الحافِلِ بِالأَشْجارِ الْمُثْمِرَةِ ، وَالأَزْهارِ النَّاضِرَةِ .

وَأَعْجَبُ ما أَعْجَبَهُ – بَعْدَ وُصُولِهِ إلَيْهِ – تِمْثالٌ نادِرُ الْمِثالِ ، مُحْكَمُ الصُّنْعِ ، رائِعُ الْجَمالِ ، أَبْدَعَهُ مَثَّالٌ فَنَّانٌ مِنَ الأرانِبِ ، صَناعُ الْيَدِ ، فائِقُ الْخَيالِ ، مَشْهُودٌ لَهُ بِالْبَراعَةِ بِلا جِدالٍ .

ظَلَّ « دَحْداحٌ » يَتَأَمَّلُ التِّمثالَ ؛ وَكُلَّما عاوَدَ النَّظَرَ إلَيْهِ ، ازْدادَ إعْجابًا بِهِ ! . كانَ تِمثالَ « سَوْسَنَةَ » : زَعِيمَةِ الأرانِبِ . .

كانَ صُورَةً صادِقَةً لِلزَّعِيمَةِ ذاتِ الْعَزِيمَةِ وَالإرادَةِ الْقَوِيَّةِ .

الزَّعِيمَةُ « سَوْسَنَةُ » كانَتْ تَعِيشُ هُناكَ ، في قَديمِ الزَّمانِ .

« دَحْداحٌ » كانَ يَسْمَعُ بِجَمالِ هٰذا التِّمثالِ ، قَبْلَ أَنْ يَحْضُرَ إلى الشَّطِّ في ذٰلِكَ الْيَوْمِ ، وَيَراهُ رَأْيَ الْعَيْنِ ، وَيُعْجَبَ بِهِ .

« دَحْداحٌ » كانَ مُشْتاقًا إلى رُؤْيَةِ تِمثالِ « سَوْسَنَةَ » .

تَبَيَّنَ لَهُ بَعْدَ أَنْ رَآهُ ، أَنَّ كُلَّ ما سَمِعَهُ أَقَلُّ مِمَّا شَهِدَتْهُ عَيْناهُ .

٤ – « سَوْسَنَةُ »

« دَخْداخٌ » لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ قَبْلًا مِنْ أَخْبارِ « سَوْسَنَةَ » إِلَّا النَّادِرَ الْقَلِيلَ. كُلُّ ما عَرَفَهُ عَنْ حَياتِها: أَنَّها نَجَحَتْ فِي طَرْدِ كُلِّ مُعْتَدٍ وَغاصِبٍ، وَأَفْلَحَتْ فِي سَحْقِ كُلِّ طامِعٍ وَناهِبٍ

« دَخْداخٌ » وَقَفَ يَتَأَمَّلُ تِمْثالَ « سَوْسَنَةَ » واقِفَةً عَلَى رَأْسِ فِيلٍ ضَخْمِ الْجُثَّةِ، تَلُوحُ عَلَيْهِ أَماراتُ الْفُتُوَّةِ، وَدَلائِلُ الْبَطْشِ وَالْقُوَّةِ: يُمَثِّلُ « سَوْسَنَةَ » مُمْسِكَةً بِعَلَمِ الشَّطِّ الْأَرْنَبِيِّ..

يُمَثِّلُها وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَى النَّهْرِ الْأَرْنَبِيِّ، وَعَلَى فَمِها بَسْمَةُ الِانْتِصارِ.

يُمَثِّلُ الْفِيلَ وَهُوَ يُحَيِّي الْعَلَمَ الْأَرْنَبِيَّ، فِي خُشُوعٍ وَانْكِسارٍ.

تُرَى: مَنْ ذا الَّذِي أَبْدَعَ ذٰلِكَ التِّمْثالَ، الرَّائِعَ الْمِثالِ؟

« نابِهٌ » ابْنُ خالَةِ « دَخْداخٍ »: الْمَثَّالُ البارِعُ الْمَوْهُوبُ.

« دَخْداخٌ » وَقَفَ أَمامَ التِّمْثالِ، يَتَمَلَّاهُ، مُعْجَبًا بِهِ، مَفْتُونًا.

« دَخْداخٌ » عَرَفَ أَنَّ سُكَّانَ الشَّطِّ أَقامُوا تِمْثالَ « سَوْسَنَةَ »: حارِسَةِ النَّهْرِ، تَقْدِيرًا لِما أَسْدَتْ إِلَى الْوَطَنِ الْعَزِيزِ مِنْ بِرٍّ، وَما جَلَبَتْهُ لِأَبْناءِ وَطَنِها الْعَزِيزِ مِنْ خَيْرٍ، وَما دَفَعَتْهُ عَنْهُمْ مِنْ أَذِيَّةٍ وَشَرٍّ، وَما اسْتَطاعَتْ كَشْفَهُ مِنْ بَلاءٍ وَضُرٍّ.

« دَخْداخٌ » أُعْجِبَ بِالتِّمْثالِ، وَصاحِبَةِ التِّمْثالِ، وَصانِعِ التِّمْثالِ.



٥ – حَديثٌ شائِقٌ

فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ القَمْراءِ ، « دَخْداخٌ » سَأَلَ خالَتَهُ « عِكْرِشَةَ » أَنْ تَزِيدَهُ مَعْرِفَةً بِتارِيخِ « سَوْسَنَةَ » : حارِسَةِ النَّهْرِ .

« عِكْرِشَةُ » رَحَّبَتْ بِما طَلَبَهُ ابْنُ أُخْتِها « دَخْداخٌ » .

« عِكْرِشَةُ » ما لَبِثَتْ أَنْ أَنْشَأَتْ تَقُصُّ عَلَى الْأَرانِبِ طَرَفًا مِنْ تارِيخِ « سَوْسَنَةَ » الَّتِي لا يُنْسَى تارِيخُها الْمَجِيدُ .

الْأَرانِبُ جَمِيعًا : صَغِيرَةً وَكَبِيرَةً ، الْتَفَّتْ حَوْلَ « عِكْرِشَةَ » ، وَكُلُّها آذانٌ صاغِيَةٌ ، وَمِلْءُ نُفُوسِها شَوْقٌ إِلَى أَنْ تَسْمَعَ كُلَّ كَلِمَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ « سَوْسَنَةَ » ، وما قامَتْ بِهِ فِي ماضِيها الْمَجِيدِ .

« عِكْرِشَةُ » قالَتْ ، فِي صَوْتٍ هادِئٍ واضِحِ النَّبَراتِ :

« عَلَى جَنَباتِ هٰذا الشَّطِّ ، عاشَتْ حارِسَةُ النَّهْرِ : « سَوْسَنَةُ » ، عَلَى أَرْضِ هٰذا الْوَطَنِ الْحَبِيبِ ، كانَتْ جَدَّتُنا الْكُبْرَى تَقْضِي أَيَّامَ طُفُولَتِها ، وَصِباها ، وَشَبابِها ، وَكُهُولَتِها ، وَشَيْخُوخَتِها .

الْجَدَّةُ « سَوْسَنَةُ » أَحَبَّتْ وَطَنَها ، فَلَمْ تُفَكِّرْ فِي الْخُرُوجِ مِنْهُ يَوْمًا ، بَلِ الْتَزَمَتْ أَنْ تَعِيشَ فِيهِ عُمْرَها كُلَّهُ ، فِي أَمانٍ .

كانَتْ حَياةُ « سَوْسَنَةَ » كُلُّها حافِلَةً دائِمًا بِعَظائِمِ الْأُمُورِ ، فَكانَتْ خَيْرَ مِثالٍ لِلْمَهارَةِ وَالْبَراعَةِ ، وَالْبُطُولَةِ والشَّجاعَةِ .

٦ – بَعْضُ مَزايا « سَوْسَنَةَ »

تَحَدَّثَ عَنْها أَرْنَبٌ مِنَ الْمُؤَرِّخينَ الثِّقاتِ ، فَقالَ :

« كانَتْ « سَوْسَنَةُ » – مُنْذُ نَشْأَتِها – مَشْغُولَةً بِحِمايَةِ أَهْلِها وَوَطَنِها . دافَعَتْ عَنْهُمْ دِفاعَ الْأَبْطالِ . أَلْهَمَها ذَكاؤُها وَسائِلَ مُبْتَكَرَةً فِي الْقِتالِ ، لا تَمُرُّ لِأَحَدٍ عَلى بالٍ .

حاوَلَ كَثيرٌ مِنْ أَعْدائِها أَنْ يَغْلِبُوها ، فَلَمْ يُفْلِحُوا .

كانُوا أَضْخَمَ جِسْمًا وَأَشَدَّ بَطْشًا ؛ وَلٰكِنْ كانَ نَصيبَهُمُ الْإِخْفاقُ .

اِنْتَصَرَتْ عَلَيْهِمْ بِذَكائِها وَصَبْرِها ، وَحُسْنِ حيلَتِها وَإِخْلاصِها ، وَصِدْقِ عَزيمَتِها . عَرَفُوا – آخِرَ الْأَمْرِ – أَنَّ الِانْتِصارَ عَلى « سَوْسَنَةَ » فِي جَميعِ الْأَحْوالِ ، مِنَ الْمُحالِ ، وَخادِعِ الْآمالِ .

أَفْلَحَتْ فِي حِمايَةِ شَطِّ النَّهْرِ مِنْ جَميعِ الْأَشْرارِ .

عاشَ سُكّانُ الشَّطِّ – في عَهْدِها – آمِنينَ وادِعينَ . »

عِنْدَ هٰذا الْحَدِّ الَّذي سَجَّلَهُ مُؤَرِّخُ الْأَرانِبِ – حينَ عَرَضَ لِلْحَديثِ عَنْ أَخْبارِ « سَوْسَنَةَ » – تَوَقَّفَتْ « عِكْرِشَةُ » عَنِ الْكَلامِ .

جَهَدَها التَّعَبُ . شَعَرَتْ بِحاجَةٍ شَديدَةٍ إِلَى النَّوْمِ .

وَعَدَتْ « عِكْرِشَةُ » الْأَرانِبَ الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْها أَنْ تَسْتَأْنِفَ – فِي اللَّيْلَةِ التّالِيَةِ – ما بَدَأَتْهُ مِنْ تاريخِ « سَوْسَنَةَ » .

الجبّاران

١ — استئناف الحديث

فِي أمسِيَةِ اليَوْمِ التّالِي ، اجْتَمَعَتِ الأرانِبُ – عَلى عادَتِها – لِلاسْتِمْتاعِ بِأحادِيثِ « عِكْرِشَةَ » ، وَقِصَصِها المُعْجِبَةِ .

لَمّا اكْتَمَلَ المَجْلِسُ ، أنْشَأتْ « عِكْرِشَةُ » تَقُولُ :

« لا شَكَّ أنَّكُمْ تَبْتَغُونَ مِنّي أنْ أُتابِعَ الحَدِيثَ فِي تارِيخِ جَدَّتِنا العَظِيمَةِ « سَوْسَنَةَ » . وَإنِّي مُوفِيَةٌ بِما وَعَدْتُكُمْ بِهِ .

وَأنْتُمْ تَذْكُرُونَ قِصَّةَ بُطُولَةِ « سَوْسَنَةَ » ، وَهِيَ قِصَّةٌ طَوِيلَةٌ ، سَمِعْتُمُوها مِنْ قَبْلُ مَرّاتٍ ، وَعَرَفْتُمْ – مِنْ أحْداثِها – كُلَّ ما جَرَى بَيْنَ جَدَّتِنا « سَوْسَنَةَ » وَالثَّعْلَبَيْنِ الغادِرَيْنِ : « أوْسٍ » « وَثُمالَةَ » .

لَقَدْ حاوَلا الظَّفَرَ بِها ، وَالنَّيْلَ مِنْها ؛ فاسْتَطاعَتْ بِسَعَةِ الحِيلَةِ أنْ تَنْتَقِمَ مِنْهُما شَرَّ انْتِقامٍ ، وَأنْ تَسْتَمْتِعَ بِالأمانِ وَالسَّلامِ .

إنَّ مَنْ يَتَدَبَّرُ قِصَّةَ بُطُولَةِ « سَوْسَنَةَ » يَجِدُ فِيها مِنَ البَراعَةِ ما يَسْتَوْجِبُ أنْ يُسَجِّلَ اسْمَها بَيْنَ الأبْطالِ الأمْجادِ ، فِي كُلِّ البِلادِ .

وَلٰكِنَّ أمْجادَ « سَوْسَنَةَ » وَبُطُولَتَها لا تَقِفُ عِنْدَ جِهادِها فِي التَّخَلُّصِ مِنْ « أوْسٍ » وَ « ثُمالَةَ » ، كَما سَتَرَوْنَ .

٢ — حياة وادعة

وَبعدَ أَنْ سكتتِ الْجدَّةُ « عِكْرِشَةُ » هُنَيْهَةً ، قالَتْ :

« اللَّيْلَةَ أَسْتَأْنِفُ الْحَديثَ في تاريخِ جَدَّتِنا « سَوْسَنَةَ » ..

وما كادَتْ « سَوْسَنَةُ » تَتَخلَّصُ مِنْ هذَيْنِ الْعَدُوَّيْنِ الماكِرَيْنِ : « أَوْس » و « ثُمالَة » ، حَتَّى اهْتَمَّتْ بِالْعَمَلِ النَّافِعِ الْجادِّ ، مَعَ أَبْناءِ الْوَطَنِ مِنَ الْأَرانِبِ ، مُجْتَهِدِينَ غايَةَ الاجْتِهادِ .

لَقَدْ دَعَتِ الْأَرانِبَ إِلَى انْتِهازِ فُرْصَةِ الْأَمانِ ، لِإِصْلاحِ الشَّأْنِ ، وَشَمَّرَتْ مَعَهُمْ عَنِ السَّواعِدِ ، مُواصِلَةً السَّعْيَ لِما فِيهِ الْخَيْرُ ، وَهِيَ في دَعْوَتِها مُؤْمِنَةٌ كُلَّ الْإِيمانِ بِأَنَّ الْوَقْتَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَأَنَّ الرَّفاهِيَةَ وَالسَّعادَةَ مَرْهُونَةٌ بِبَذْلِ الْجُهْدِ وَتَنْشيطِ الْعَزيمَةِ ، وَتَرْكِ التَّراخي وَالتَّكاسُلِ الَّذي يُؤَدِّي إِلَى الْحِرْمانِ وَالْخُسْرانِ .

قالَتْ « سَوْسَنَةُ » لِقَوْمِها : « أَمَّا وَقَدْ فَرَغْنا مِنْ مُكافَحَةِ الْأَعْداءِ ، وَمُطارَدَةِ الْأَشْرارِ ، وَالتَّرَبُّصِ بِالْمُغيرينَ الْغادِرينَ ؛ فَعَلَيْنا أَنْ نُعْنَى بِإِصْلاحِ وَطَنِنا الْعَزيزِ ، بِهِمَّةٍ وَإِخْلاصٍ . »

وَاسْتَمَعَ أَبْناءُ الشَّطِّ لِنُصْحِ الزَّعيمَةِ « سَوْسَنَةَ » ، وَلَبِثُوا عامًا يُصْلِحُونَ وَيُعَمِّرُونَ ، في أَمْنٍ وَرَغادَةٍ ، وَهُدُوءِ بالٍ وَسَعادَةٍ .

وَلكِنَّ الْحَقيقَةَ أَنَّ دَوامَ الْحالِ ، مِنَ الْمُحالِ !..

٣ – « أبُو خُرْطُومٍ » وَ « أبُو حَيْزُومٍ »

ذا صَباحٍ : فُوجِئَ الْأَرانِبُ بِأَنَّهُ قَدْ وَفَدَ عَلَى شَطِّ النَّهرِ ضَيْفانِ ثَقِيلانِ ، أزْعَجا الآمِنِينَ مِنَ السُّكّانِ .

هٰذانِ الضَّيْفانِ لَيْسا مِنْ بَنِي الْإِنْسانِ . أَحَدُهُما : قَدِمَ عَلَى الشَّطِّ مِنْ أقْصَى الْغابَةِ . والْآخَرُ : قَدِمَ عَلَى الشَّطِّ مِنْ عُرْضِ النَّهرِ .

أوَّلُ الضَّيْفَيْنِ : الْفِيلُ « أبُو خُرْطُومٍ » ، جَبّارُ الْغابَةِ .

والْآخَرُ : فَرَسُ النَّهرِ « أبُو حَيْزُومٍ » ، جَبّارُ النَّهرِ .

كِلاهُما حَيَوانٌ قَوِيُّ الْبَأْسِ ، شَدِيدُ الْبَطْشِ ، ضَخْمُ الْجِسْمِ .

كِلاهُما عَنِيفٌ مُخِيفٌ ، لا يُغْلَبُ . كِلاهُما غاشِمٌ ظالِمٌ ، لا يَرْحَمُ .

قالَ جَبّارُ الْغابَةِ لِصاحِبِهِ جَبّارِ النَّهرِ :

« مِنَ الْمُصادَفاتِ الْغَرِيبَةِ أنْ نَلْتَقِيَ ـ السّاعَةَ ـ فِي هٰذا الْمَكانِ ، كَأنَّنا نَحْنُ مَعًا عَلَى مَوْعِدٍ ارْتَبَطْنا بِهِ ، يا « أبا حَيْزُومٍ » ! »

فَأجابَ جَبّارُ النَّهرِ بِقَوْلِهِ : « ما أظُنُّكَ قَدِمْتَ هُنا إلّا لِلْغَرَضِ الَّذِي قَدِمْتُ مِنْ أجْلِهِ ! ألَيْسَ الْأمْرُ كَذٰلِكَ يا « أبا خُرْطُومٍ » ؟ »

قالَ جَبّارُ الْغابَةِ الْفِيلُ : « عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ هٰذا الشَّطِّ الْجَمِيلِ ، تَعِيشُ جَماعاتٌ مِنَ الْأرانِبِ الصِّغارِ . وَتَظُنُّ أنَّها سَيِّدَةُ الْمَكانِ ؛ وَكَأنَّها لا تَحْسِبُ لِأحَدٍ حِسابًا ، وَلا تَخافُ مِنْ أحَدٍ عِقابًا ! »

قالَ فرسُ النَّهرِ «أبو حيزوم»، ناظِرًا إلى الأرانبِ مِنْ بعيدٍ :

« إنَّ هٰذِهِ الأرانبَ الصِّغارَ ، قدْ نسِيَتْ أنْ أمثالَنا الأقوياءَ ، هُمْ أصْحابُ السُّلْطانِ في كُلِّ مكانٍ ، وأنَّ أمثالَها الضُّعفاءَ يَجِبُ أنْ تخْضَعَ لَنا كُلَّ الخُضوعِ ، ولا تكونَ لَها - بِأيِّ حالٍ - كَلِمَةٌ غيرُ كَلِمَتِنا ، ولا يرْتَفِعَ لَها صَوتٌ فَوقَ صَوتِنا ! »

أجابَهُ جبّارُ الغابَةِ « أبو خُرْطومٍ » علَى الفوْرِ :

« إنّي أعْجَبُ لِهٰذِهِ الأرانبِ الصِّغارِ : كَيْفَ لا تَعتَرِفُ بِضَعْفِها ؟ كَيفَ لا تَخْشَى قُدْرَتَنا عَلَى أنْ نَبطِشَ بِها ؟ كَيفَ لا تَعتَرِفُ بِأنَّنا أوْلَى بِهٰذا المَكانِ مِنها ؟ هَيَّا بِنا نُؤدِّبْها ، يا أبا حَيْزومٍ ! »

الأرانِبُ انْزَعَجَتْ حِينَ شَهِدَتْ جَبّارَ الغابَةِ وجَبّارَ النَّهرِ ، يَحْتَلّانِ أرْضَها العَزيزَةَ ! ماذا تَصْنَعُ أرانِبُ الشَّطِّ ، يا تُرَى ؟

كَيفَ السَّبيلُ إلى طَرْدِ عَدُوَّيْهِمْ ، والخَلاصِ مِنْهُما ؟

لا قُدْرَةَ لِأرانِبِ الشَّطِّ عَلَى مُحارَبَةِ هٰذَيْنِ الجَبّارَيْنِ .

لَمْ يَبْقَ أمامَ الأرانِبِ غَيرُ الذَّهابِ إلَى الزَّعيمَةِ « سَوْسَنَةَ » : حامِيَةِ الوَطَنِ مِنَ المُعْتَدِينَ ، وَحارِسَةِ النَّهرِ مِنَ المُغيرِينَ .

الأرانِبُ أسْرَعَتْ إلَى « سَوْسَنَةَ » . الأرانِبُ حَدَّثَتْ « سَوْسَنَةَ » بِما تَمَلَّكَها مِنْ خَوْفٍ شَديدٍ مِنْ قُدومِ هٰذَيْنِ العَدُوَّيْنِ .

٤ — حَبْلُ السَّفِينَةِ

« سَوْسَنَةُ » لَمْ يُساوِرْها الْفَزَعُ ، وَلَمْ تَسْتَسْلِمْ لِلْهَلَعِ .

« سَوْسَنَةُ » طَمْأَنَتِ الْأَرانِبَ ، وَطَلَبَتْ مِنْها ضَبْطَ النَّفْسِ .

« سَوْسَنَةُ » أَعَدَّتْ خُطَّةً بارِعَةً لِطَرْدِ الْجَبّارَيْنِ الْعَنِيدَيْنِ : جَبّارِ الْغابَةِ « أَبِي خُرْطُومٍ » ، وَفَرَسِ النَّهْرِ « أَبِي حَيْزُومٍ » .

« سَوْسَنَةُ » وَجَدَتْ - لِحُسْنِ حَظِّها - حَبْلًا مَتِينًا مِنْ حِبالِ السُّفُنِ ، تَرَكَتْهُ سَفِينَةٌ كانَتْ تَرْسُو عَلَى شَطِّ النَّهْرِ بَعْضَ الْوَقْتِ .

« سَوْسَنَةُ » رَأَتْ ذٰلِكَ الْحَبْلَ الْمَتِينَ مُلْقًى عَلَى مَسافَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ شَطِّ النَّهْرِ ، غَيْرَ مُرْتَبِطٍ طَرَفُهُ بِشَيْءٍ .

« سَوْسَنَةُ » فَرِحَتْ بِالْعُثُورِ عَلَى حَبْلِ السَّفِينَةِ .

أَتَعْرِفُونَ لِماذا فَرِحَتْ « سَوْسَنَةُ » هٰذا الْفَرَحَ ؟

بَعْدَ قَلِيلٍ ، سَتَعْلَمُونَ الْجَوابَ عَنْ هٰذا السُّؤالِ .

« سَوْسَنَةُ » كانَتْ - كَما أَخْبَرْتُكُمْ - تَرْسُمُ خُطَّةً بارِعَةً ، لِطَرْدِ هٰذَيْنِ الضَّيْفَيْنِ الثَّقِيلَيْنِ اللَّذَيْنِ حَلّا بِالْمَكانِ

كانَتْ خُطَّتُها ناجِحَةً ، كَفِيلَةً بِتَحْقِيقِ كُلِّ ما تُرِيدُ .

لَعَلَّكَ تَدْهَشُ لِأَرْنَبَةٍ ضَعِيفَةٍ ، تَنْجَحُ خُطَّتُها فِي مُقاوَمَةِ عَدُوَّيْنِ يَفُوقانِها : قُوَّةً وَحَجْمًا . وَلٰكِنَّ دَهْشَتَكَ لَنْ يَبْقَى طَوِيلًا .

٥ — يا جَبّارَ النَّهْرِ !

« سَوْسَنَةُ » أَسْرَعَتْ إِلَى شَطِّ النَّهْرِ . « سَوْسَنَةُ » وَقَفَتْ تُنادِي فَرَسَ النَّهْرِ . « سَوْسَنَةُ » صَرَخَتْ بِأَعْلَى صَوْتِها :

« يا جَبّارَ النَّهْرِ . يا جَبّارَ النَّهْرِ . تَعالَ الْآنَ إِلَيَّ .

تَعالَ ، إِلَيَّ ، مُسْرِعًا ، أَيُّها الْجَبّارُ الْقَوِيُّ الْعَنِيدُ !

« سَوْسَنَةُ » تُنادِيكَ ، بِصَوْتِها الْعالِي ، يا « أَبا جَيْزُوم » .

اُدْنُ مِنِّي ، وَلا تَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ . لَنْ أَمَسَّكَ بِسُوءٍ أَبَدًا

إِلَيَّ . إِلَيَّ ، يا « أَبا جَيْزُوم » . هَلُمَّ أَلا تَسْمَعُ ؟ ! ،

فَرَسُ النَّهْرِ سَمِعَ صَوْتَ « سَوْسَنَةَ » ، وَهُوَ فِي النَّهْرِ .

فَرَسُ النَّهْرِ أَسْرَعَ بِالْخُرُوجِ مِنْ وَسَطِ النَّهْرِ إِلَى الشَّطِّ .

فَرَسُ النَّهْرِ تَعَجَّبَ حِينَ أَبْصَرَ الْأَرْنَبَةَ الضَّئِيلَةَ « سَوْسَنَةَ » وَهِيَ تُنادِيهِ !.. وَسَأَلَ نَفْسَهُ : « ماذا تُرِيدُ مِنِّي ، بِنِدائِها إِيّايَ ؟ »

« سَوْسَنَةُ » ما كادَتْ تُبْصِرُهُ عَلَى الشَّطِّ ، حَتَّى قالَتْ :

« مَرْحَى ، مَرْحَى ، يا « أَبا جَيْزُوم » ! أَنا فَرْحانَةٌ بِكَ ، يا « أَبا جَيْزُوم » . أَنا مُعْجَبَةٌ بِكَ ، يا « أَبا جَيْزُومٍ » .

أَنْتَ - بِلا شَكٍّ - شُجاعٌ جَرِيءٌ . لَوْ لَمْ تَكُنْ هٰكَذا شُجاعًا ، لَما جَرُؤْتَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ النَّهْرِ ، وَأَنا أُنادِيكَ ! »

٦ – حِوارٌ عَجيبٌ

« أبُو حَيْزُوم » دَهِشَ مِمَّا سَمِعَ . « أبُو حَيْزُوم » سَخِرَ مِنَ الأَرْنَبةِ . « أبُو حَيْزُوم » لَمْ يَفْهَمْ ما تَعْنيهِ « سَوْسَنَةُ » .

« أبُو حَيْزُوم » سَأَلَ « سَوْسَنَةَ » وَهُوَ يُحَدِّقُ فيها :

« ماذا تَقْصِدِينَ بِهٰذا الكَلامِ التّافِهِ الَّذي تَقولِينَ ؟ »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « سَمِعْتُ أحَدَ سُكّانِ الشَّطِّ يَقُولُ لِصاحِبِهِ : « أبُو حَيْزُوم » هُوَ جَبّارُ النَّهرِ ، لا شَكَّ !

وَسَمِعْتُ آخَرَ يَقُولُ : « أبُو حَيْزُوم » أقْوى دابَّةٍ مِنْ دَوابِّ النَّهرِ وَالشَّطِّ جَميعًا ، بِغَيْرِ اسْتِثْناءٍ ، دُونَ نِزاعٍ .

أنا تَعَجَّبْتُ مِمَّا سَمِعْتُ ! أنا لَمْ أُصَدِّقْ ما سَمِعْتُ !

لِهٰذا جِئْتُ إلى مَكانِكَ أَسْأَلُكَ : أأنْتَ حَقًّا كَما يَقُولُونَ ؟ »

« أبُو حَيْزُوم » قالَ لَها ساخِرًا مِنْها : « مَنْ ذا الَّذي يَدْري ؟!. لَعَلَّ « سَوْسَنَةَ » أقْوى مِنّي ! لَعَلَّ « سَوْسَنَةَ » هِيَ جَبّارَةُ الشَّطِّ وَحْدَها ، لا شَرِيكَ لَها في قُوَّتِها وَجَبَرُوتِها ! »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « أأنْتَ تَشُكُّ في هٰذا ، يا « أبا حَيْزُوم » ؟! هٰذِهِ حَقِيقَةٌ مَعْرُوفَةٌ . أعْجَبُ ما أعْجَبُ لَهُ مِنْكَ : أنْ يَدْفَعَكَ الغُرُورُ ، إلى نِسْيانِ هٰذِهِ الحَقِيقَةِ ، الَّتي لا يَجْهَلُها أحَدٌ !

إسأل من تشاء عن قوة « سوسنة » ، إن كنت تشك
فيما أقول . لن تسمع منهم جميعا إلا أن « سوسنة » أقوى
من كل جبار قوي ، وأعتى من كل مارد عتي ! »
« أبو حيزوم » تعاظمته الدهشة من غرور « سوسنة » .
« أبو حيزوم » قال لها ، مستنكرا حديثها معه :
« أيصح في الأذهان : أن الأرانب أقوى من أفراس النهر ؟!
كيف يصدق عاقل : أن الحصاة أثقل وزنا من الصخر ؟
كيف يصح في الذهن أن الضفدع أقوى عزما من الثور ؟
يجب ألا يتجاوز أحد ما له من قدر . »
« سوسنة » قالت : « شد ما أخطأت ، يا « أبا حيزوم » .
ضخامة الجسم ليست دليلا على القوة ، والشجاعة والفتوة . »
« أبو حيزوم » قال : « يا لك من تاعسة شقية ، مغرورة غبية ! »
« سوسنة » قالت ، غير مبالية بما يصفها به :
« ما رأيك - أيها الجبار - إذا دعوتك للمباراة ؟
ماذا تقول في أن يجرب كل واحد منا قوته ؟
سترى من منا أقوى جسما ، وأصلب عودا وأشد عزما ؟
عليك أن تقبل أن تباريني ، ما دمت واثقا بنفسك ! »

« أبو حَيْزُوم » قالَ : « حَذارِ أَنْ تَتَمادَىٰ في هٰذا الهَذَيانِ . »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « ما لِي أراكَ وَقَدْ خِفْتَ مِنَ المُباراةِ ؟

أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ العُقَلاءِ : عِنْدَ الامْتِحانِ ، يُكْرَمُ المَرْءُ أَوْ يُهانُ ! »

« أبو حَيْزُوم » قالَ لِلأَرْنَبَةِ « سَوْسَنَةَ » مُتَعَجِّبًا :

« ما أَشَدَّ عِنادَكِ وَغَباوَتَكِ ، وَما أَعْظَمَ خَبالَكِ وَبَلاهَتَكِ ! »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ ، لِتُثِيرَ نَفْسَ جَبّارِ النَّهْرِ :

« خَبِّرْنِي ، يا « أبا حَيْزُوم » : ماذا تَصْنَعُ إذا غَلَبْتُكَ ؟ »

« أبو حَيْزُومٍ » قالَ لَها مُسْتَهْزِئًا : « إذا غَلَبَتْ « سَوْسَنَةُ »

« أبا حَيْزُوم » ، أَصْبَحَ لَها خادِمًا طائِعًا ، لا يَعْصِي لَها أَمْرًا ! »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « سَتَرَى كَيْفَ أَغْلِبُكَ ، يافَرَسَ النَّهْرِ .

أنا أَتَحَدّاكَ ، تَحَدِّيًا صَرِيحًا ، قاطِعًا ، يا « أبا حَيْزُومٍ » .

كُنْ مُسْتَعِدًّا ، يا « أبا حَيْزُوم » . صَبْرًا ، أَيُّها الجَبّارُ الشُّجاعُ . »

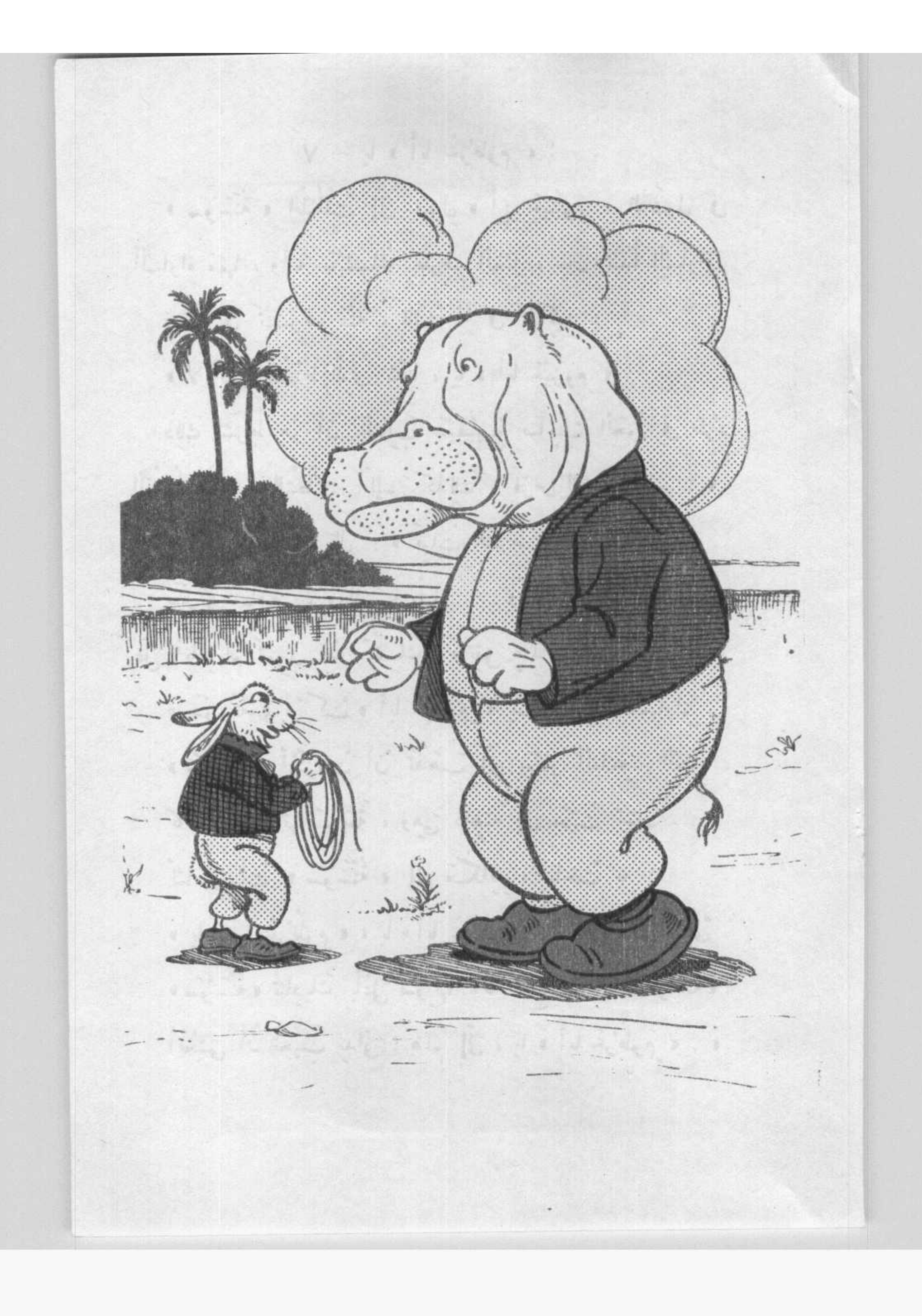
لَمْ يُطِقْ فَرَسُ النَّهْرِ سُكُوتًا ، فَقالَ : « مَتَى المُباراةُ ؟ »

قالَتْ « سَوْسَنَةُ » : « لاتَتَعَجَّلْ . بَعْدَ قَلِيلٍ ، تَبْدَأُ المُباراةُ .

أَمْسِكْ طَرَفَ هٰذا الحَبْلِ ، وَلا تَجْعَلْهُ يُفْلِتُ مِنْكَ .

أنا ذاهِبَةٌ إلَى هُناكَ ، لأُمْسِكَ طَرَفَ الحَبْلِ الآخَرَ .

سَأُثْبِتُ قُوَّتِي بِالْبُرْهانِ : وَعِنْدَ الامْتِحانِ ، تُكْرَمُ أَوْ تُهانُ . »



٧ – يا « أبا خُرطُوم » :

« سَوْسَنَةُ » اطْمَأَنَّتْ إِلَى قَبُولِ « أَبِي حَيْزُومٍ » الدُّخُولَ فِي الْمُبَارَاةِ مَعَهَا ، وَأَنَّهُ سَيُمْسِكُ بِطَرَفِ الْحَبْلِ ، حِينَ تَبْدَأُ الْمُبَارَاةُ.

وَقَبْلَ أَنْ تَنْصَرِفَ عَنْهُ ، قَالَتْ لَهُ فِي تَأْكِيدٍ :

« لا تَنْسَ الشَّرْطَ الَّذِي بَيْنَنَا ، يَا « أَبَا حَيْزُومٍ ».

ذَلِكَ الشَّرْطُ هُوَ أَنَّ الْغَالِبَ سَيُصْبِحُ صَاحِبَ الْحَقِّ فِي طَرْدِ الْمَغْلُوبِ مِنَ الشَّطِّ .. أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا فَرَسَ النَّهْرِ الْعَظِيمَ ؟ ».

« أَبُو حَيْزُومٍ » قَالَ : « قَبِلْتُ الشَّرْطَ ، أَيَّتُهَا الْمَغْرُورَةُ. سَتَرَيْنَ عَاقِبَةَ غُرُورِكِ يَا بَلْهَاءُ ! .. وَلَسَوْفَ يَشْتَدُّ نَدَمُكِ عَلَى أَنَّكِ لَمْ تَعْرِفِي قَدْرَ نَفْسِكِ ، وَتَقِفِي عِنْدَ حَدِّكِ ! »

« سَوْسَنَةُ » تَرَكَتْ « أَبَا حَيْزُومٍ » يَنْتَظِرُ ابْتِدَاءَ الْمُبَارَاةِ.

« سَوْسَنَةُ » اعْتَزَمَتْ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى جَبَّارِ الْغَابَةِ : الْفِيلِ.

كَانَتْ خُطُوَاتُهَا سَرِيعَةً ، وَهِيَ ذَاهِبَةٌ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ..

لَمَّا وَصَلَتْ « سَوْسَنَةُ » إِلَى مَكَانِهِ ، صَاحَتْ بِهِ :

« يَا « أَبَا خُرْطُومٍ » ، يَا « أَبَا خُرْطُومٍ » ! تَعَالَ مُسْرِعًا إِلَيَّ. « سَوْسَنَةُ » تُنَادِيكَ بِأَعْلَى صَوْتِهَا. أَلا تَسْمَعُ صَوْتَ « سَوْسَنَةَ » ؟ أَتَخْشَى أَنْ تُجِيبَ نِدَائِي ؟ هَلُمَّ إِلَيَّ ، يَا « أَبَا خُرْطُومٍ ». »

٨ – دَهْشَةُ الْفِيلِ

« أَبُو خُرْطُومٍ » دَهِشَ أَشَدَّ الدَّهَشِ مِمَّا سَمِعَ .

« أَبُو خُرْطُومٍ » سَخِرَ مِنْ نِداءِ « سَوْسَنَةَ » لَهُ .

« أَبُو خُرْطُومٍ » لَمْ يَفْهَمْ ماذا تُرِيدُ « سَوْسَنَةُ » بِقَوْلِها

« أَبُو خُرْطُومٍ » مَدَّ خُرْطُومَهُ ، وَسَأَلَ الْأَرْنَبَةَ فِي كِبْرِياءٍ :

« ماذا تَقْصِدِينَ بِهٰذا الْهُراءِ ، أَيَّتُها الصَّغِيرَةُ الْحَمْقاءُ ؟ »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « أَنا سَمِعْتُ بَعْضَ سُكَّانِ الشَّطِّ يَقُولُ : « أَبُو خُرْطُومٍ » هُوَ جَبَّارُ الْغابَةِ الْأَوْحَدُ !.. وَسَمِعْتُ آخَرِينَ يَقُولُونَ : « أَبُو خُرْطُومٍ » أَقْوَى دابَّةٍ مِنْ دَوابِّ الْغابَةِ ! . . .

هٰكَذا وَهِمَ الزَّاعِمُونَ الْواهِمُونَ ! بِهٰذا نَطَقَ الْمَخْدُوعُونَ ! لِهٰذا جِئْتُ أَسْأَلُكَ : أَأَنْتَ تُصَدِّقُ ما يَقُولُونَ ؟ »

« أَبُو خُرْطُومٍ » اشْتَدَّ عَجَبُهُ مِنْ هٰذا الْحَدِيثِ !

« أَبُو خُرْطُومٍ » أَجابَ « سَوْسَنَةَ » ساخِرًا مِنْها :

« مَنْ يَدْرِي ؟! لَعَلَّ « سَوْسَنَةَ » الَّتِي أَراها الْآنَ أَمامَ عَيْنِي ، أَقْوَى مِنِّي ! لَعَلَّها حَقِيقَةٌ بِأَنْ تُدْعَى : « جَبَّارَةَ الشَّطِّ » ! لَعَلَّ الْأَرْنَبَةَ « سَوْسَنَةَ » ـ وَحْدَها ـ فِي هٰذِهِ الْبُقْعَةِ الطَّوِيلَةِ الْعَرِيضَةِ ، هِيَ صاحِبَةُ الْحَوْلِ وَالطَّوْلِ ، وَباعِثَةُ الرُّعْبِ وَالْهَوْلِ ! »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « أَعِنْدَكَ شَكٌّ فِي هٰذا ، يا « أَبا خُرْطُومٍ » ؟

كَيْفَ غابَ كُلُّ ذٰلِكَ عَنْ فِطْنَتِكَ ، وَذَكائِكَ وَبَراعَتِكَ ؟

هٰذِهِ حَقِيقَةٌ يُؤْمِنُ بِها كُلُّ مَنْ وَهَبَهُ اللهُ عَيْنَيْنِ ، وَعَقْلًا وَأُذُنَيْنِ .

أَعْجَبُ الْعَجَبِ : أَنْ يَدْفَعَكَ الْغُرُورُ إِلَى نِسْيانِ هٰذِهِ الْحَقِيقَةِ ،

مَعَ أَنَّها حَقِيقَةٌ واضِحَةٌ وُضُوحَ الشَّمْسِ السّاطِعَةِ فِي ساعَةِ الظُّهْرِ ،

لا يَشُكُّ فِيها أَحَدٌ مِنَ الْأَعْداءِ وَالْأَصْدِقاءِ ، عَلَى السَّواءِ !

اِسْأَلْ مَنْ تَشاءُ ، فِي كُلِّ مَكانٍ ، عَنْ قُوَّتِي أَنا « سَوْسَنَةَ » .

لَنْ تَسْمَعَ مِنْهُمْ - يا « أَبا خُرْطُومٍ » - إِلَّا جَوابًا واحِدًا :

هُوَ أَنَّ « سَوْسَنَةَ » هِيَ - حَقًّا - أَمِيرَةُ الْوادِي ، وَأَنَّها جَبّارَةُ

الشَّطِّ - دُونَ شَكٍّ أَوْ نِزاعٍ - وَأَقْوَى مَخْلُوقٍ فِي هٰذا الْبَلَدِ . »

« أَبُو خُرْطُومٍ » تَعاظَمَتْهُ الدَّهْشَةُ مِمّا سَمِعَ .

« أَبُو خُرْطُومٍ » أَجابَ « سَوْسَنَةَ » ساخِرًا هازِئًا :

« كَيْفَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهانِ : أَنَّ الْأَرانِبَ أَقْوَى مِنَ الْأَفْيالِ ،

وَالتِّلالَ أَعْلَى مِنَ الْجِبالِ ، وَالنِّمالَ أَضْخَمُ مِنَ الْجِمالِ ؟! »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « شَدَّ ما أَخْطَأْتَ ، يا « أَبا خُرْطُومٍ » !

أَنْتَ تَتَوَهَّمُ أَنَّ الْقُوَّةَ لا تَكُونُ إِلَّا فِي ضِخامِ الْأَجْسامِ !

أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ ضَخامَةَ الْجِسْمِ لَيْسَتْ - عَلَى الدَّوامِ - دَلِيلًا عَلَى الْقُوَّةِ ! »

« أبو خُرْطوم » قالَ : « يا لكِ مِنْ شَقِيَّة ، مَغْرُورَةٍ غَبِيَّةٍ !

أيْنَ تَكُونُ الْقُوَّةُ إذَنْ ، أيَّتُها الحَمْقاء، إنْ لَمْ تَكُنْ عِنْدِي ؟ »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « ماذا تَقولُ إذا اقْتَرَحْتُ عَلَيْكَ ،

أنْ يُحاوِلَ كُلُّ واحِدٍ مِنَّا أنْ يُجَرِّبَ قُوَّتَهُ ، في مُباراةٍ عادِلَةٍ ؛

لِتَرَى : أيُّنا أقْوَى مِنْ صاحِبِهِ عَزْمًا ، وَأشَدُّ جَلَدًا . »

« أبُو خُرْطوم » قالَ : « كَفَى ما أنْتِ فيهِ مِنْ طَيْشٍ وَغَباء ،

وَحَذارِ أنْ تَتَمادَيْ في هٰذا الْهُراء ، أيَّتُها الصَّغيرَةُ الرَّعْناء ! »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « ما بالُكَ تَخافُ مِنَ الْمُباراةِ ؟

إنِّي أدْعُوكَ ، فَما لَكَ لا تُجيبُ ؟ ألَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْعُقَلاء :

عِنْدَ الامْتِحانِ ، يُكْرَمُ الْمَرْءُ أوْ يُهانُ ؟ ! »

« أبُو خُرْطُوم » قالَ : « ما أشَدَّ عِنادَكِ ، وَما أعْظَمَ خَبالَكِ ! »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « خَبِّرْني ، يا « أبا خُرْطوم » الْعَظيمَ :

ماذا تَصْنَعُ إذا أنْتَ بارَيْتَني ، وَغَلَبْتُكَ في الْمُباراةِ ؟ »

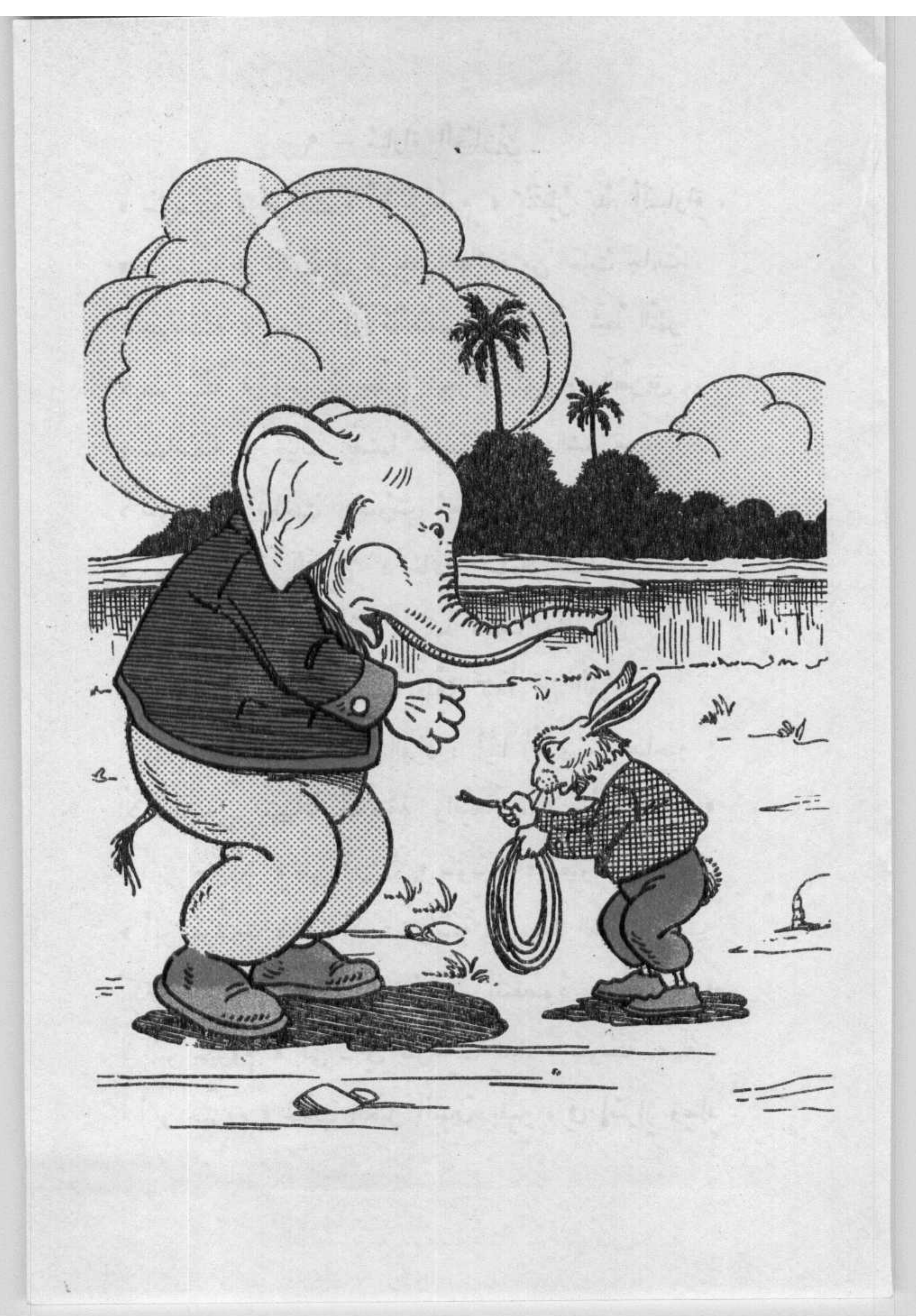
« أبُو خُرْطُوم » قالَ : « إذا غَلَبْتِني ، أصْبَحْتُ لَكِ أسيرًا ،

لا أعْصِي لَكِ أيَّ أمْرٍ ، وَلا أخالِفُ لَكِ أيَّةَ مَشيئَةٍ ! »

« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « أنا أتَحَدّاكَ ، يا « أبا خُرْطوم » .

سَتَرَى كَيْفَ أغْلِبُكَ . كُنْ مُسْتَعِدًّا ، يا « أبا خُرْطُوم » ..

أَمْسِكْ جَيِّدًا طَرَفَ هٰذا الْحَبْلِ . أَنا ذاهِبَةٌ لِأُمْسِكَ طَرَفَهُ الْآخَرَ .
صَبْرًا . صَبْرًا ، يا « أَبا خُرْطُومٍ » ، وَلا تَتَعَجَّلْ .
بَعْدَ قَليلٍ ، تَبْدَأُ الْمُباراةَ . سَأُثْبِتُ لَكَ قُوَّتي بِالدَّليلِ وَالْبُرْهانِ .
سَتَرى صِدْقَ ما أَقولُ : عِنْدَ الامْتِحانِ ، تُكْرَمُ أَوْ تُهانُ ! »
« أَبُو خُرْطُومٍ » قالَ ، وَهُوَ غَيْرُ مُبالٍ بِالتَّهْديدِ :
« لَكِ ما شِئْتِ ، أَيَّتُها الضّالَّةُ الْمَفْتُونَةُ ، الْواهِمَةُ الْمَجْنُونَةُ ! »
« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « لا تَنْسَ الشَّرْطَ ، يا « أَبا خُرْطُومٍ » .
سَيُصْبِحُ الْغالِبُ صاحِبَ الْحَقِّ في طَرْدِ الْآخَرِ مِنَ الشَّطِّ ! »
« أَبُوخُرْطُومٍ » قالَ ، وَهُوَ يُقَهْقِهُ ، في سُخْرِيَةٍ :
« ها . ها ! قَبِلْتُ الشَّرْطَ الَّذي شَرَطْتِهِ ، يا « سَوْسَنَةُ » . »
« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « شُكْرًا لَكَ ، يا « أَبا خُرْطُومٍ » .
الْآنَ عَرَفْتُ أَنَّكَ شُجاعٌ ، لا تَخافُ ! أَمْسِكْ طَرَفَ الْحَبْلِ .
اِنْتَظِرْ إِشارَةَ الْبَدْءِ . كُنْ مُسْتَعِدًّا ، يا « أَبا خُرْطُومٍ » . »
« أَبُو خُرْطُومٍ » كانَ غَيْرَ مُهْتَمٍّ بِما يَسْمَعُهُ مِنَ التَّحَدّي .
« سَوْسَنَةُ » قالَتْ : « بَعْدَ قَليلٍ تَبْدَأُ الْمُباراةُ فِعْلًا .
أَنا ذاهِبَةٌ إِلَى شَطِّ النَّهْرِ ؛ لِأُعْطِيَ فَوْرًا إِشارَةَ الْبَدْءِ .
لا تَنْسَ الشَّرْطَ الَّذي تَمَّ بَيْنَنا ، يا « أَبا خُرْطُومٍ » ! »



٩ – مُباراةُ الْجَبّارَيْنِ

« سَوْسَنَةُ » تَرَكَتْ « أَبا خُرْطُوم » يَنْتَظِرُ بَدْءَ الْمُباراةِ .

« سَوْسَنَةُ » مَشَتْ فِي طَرِيقِها ، عائِدَةً مِنْ حَيْثُ جاءَتْ .

« سَوْسَنَةُ » وَصَلَتْ إِلَى مُنْتَصَفِ الطَّرِيقِ إِلَى شَطِّ النَّهرِ .

« سَوْسَنَةُ » وَجَدَتْ جِذْعَ شَجَرَةٍ مُلْقًى عَلَى الطَّرِيقِ .

« سَوْسَنَةُ » خَبَأَتْ نَفْسَها خَلْفَ جِذْعِ الشَّجَرَةِ .

« سَوْسَنَةُ » صاحَتْ بِصَوْتٍ مُجَلْجِلٍ فِي الْفَضاءِ :

« أَيُّها الشُّجاعُ الْقَوِيُّ : حانَتْ ساعَةُ الْمُباراةِ !

الْآنَ نَتَجاذَبُ الْحَبْلَ مَعًا ، كَما اتَّفَقْنا مِنْ قَبْلُ .

اِسْتَعِدَّ جَيِّدًا لِلْمُباراةِ بَيْنَنا ، فَإِنَّها تَبْدَأُ عَلَى الْفَوْرِ .

الْآنَ تَعْرِفُ ، أَيُّها الْبَطَلُ الْفَرْدُ : أَيُّنا أَقْوَى مِنْ صاحِبِهِ !

الْآنَ تَنْجَلِي لِعَيْنَيْكَ الْحَقِيقَةُ واضِحَةً ، لا رَيْبَ فِيها . »

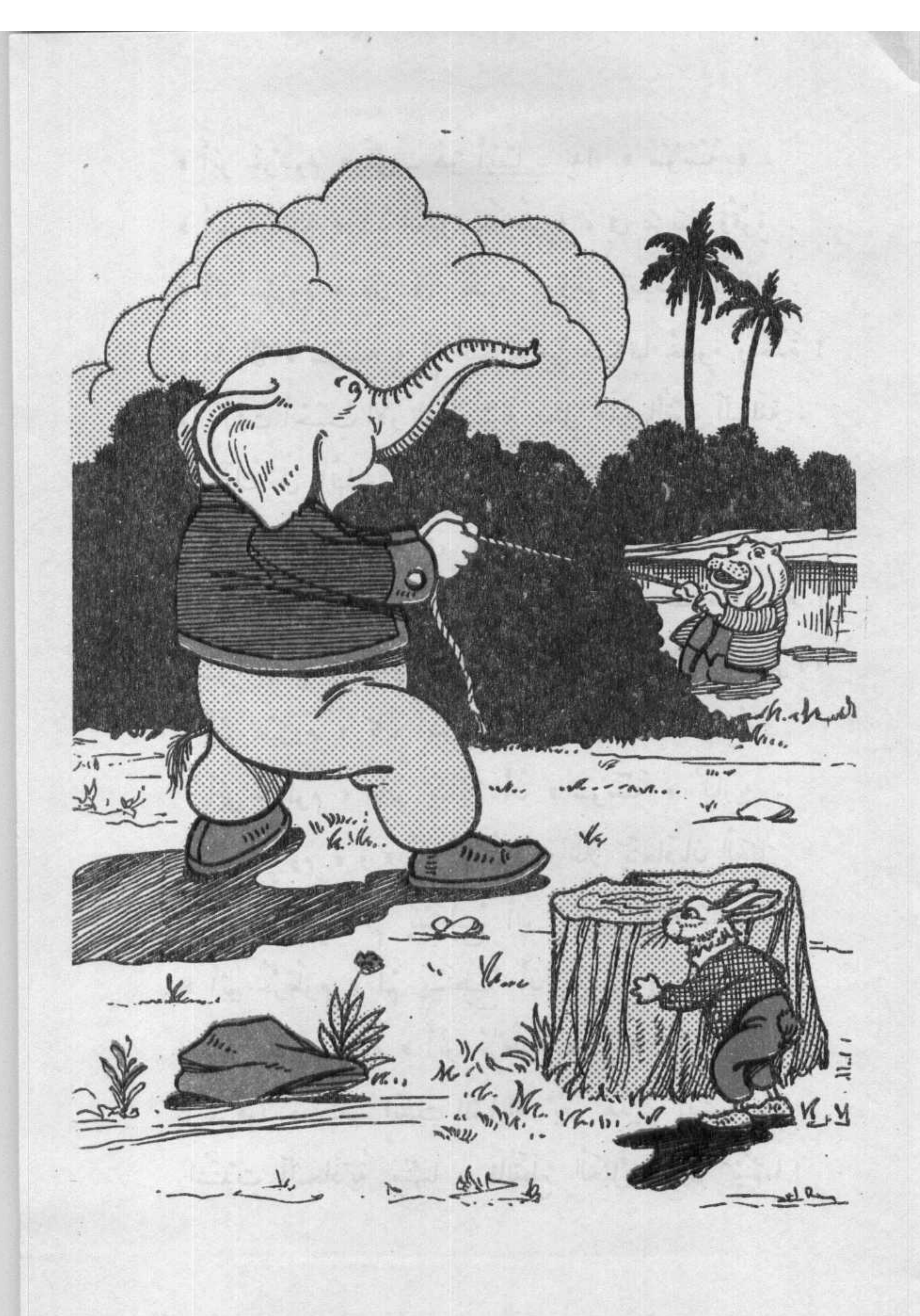
« أَبُو حَيْزُومٍ » ظَنَّ أَنَّ « سَوْسَنَةَ » بِصَوْتِها تُنادِيهِ .

« أَبُو خُرْطُومٍ » ظَنَّ أَنَّ « سَوْسَنَةَ » بِهٰذا الصَّوْتِ تَعْنِيهِ .

كِلاهُما حَسِبَ أَنَّهُ ـ هُوَ وَحْدَهُ ـ الْمَقْصُودُ ، لا أَحَدَ سِواهُ .

« أَبُو حَيْزُومٍ » لَبَّى ـ فِي سُرْعَةٍ ـ نِداءَ « سَوْسَنَةَ » لَهُ .

« أَبُو حَيْزُومٍ » جَذَبَ الْحَبْلَ الْمَتِينَ بِفَمِهِ ، فِي إِصْرارٍ وَعِنادٍ .



« أَبُو خُرْطُوم » لَبَّى - هُوَ أَيضًا - نِداءَ « سَوْسَنَةَ » .

« أَبُو خُرْطُوم » شَدَّ الْحَبْلَ بِخُرْطُومِهِ ، فِي عَزِيمَةٍ وَقُوَّةٍ .

« أَبُو حَيْزُوم » قالَ فِي نَفْسِهِ ، وَهُوَ يَجْذِبُ الْحَبْلَ :

« ما بالُ « سَوْسَنَةَ » لَمْ تَتَحَرَّكْ مِنْ مَكانِها خُطْوَةً واحِدَةً ؟

ما كُنْتُ أَحْسَبُ الأَرْنَبَةَ الضَّئِيلَةَ بِمِثْلِ هٰذِهِ الْقُوَّةِ الْبالِغَةِ !

لا شَكَّ فِي أَنَّها - عَلَى ضَآلَتِها - جَبَّارَةٌ لا تُغْلَبُ ! »

« أَبُو خُرْطُوم » قالَ فِي نَفْسِهِ ، وَهُوَ يَشُدُّ الْحَبْلَ :

« ما بالُ « سَوْسَنَةَ » لَمْ تَتَحَرَّكْ مِنْ مَكانِها خُطْوَةً واحِدَةً ؟

ما كُنْتُ أَظُنُّها بِمِثْلِ هٰذِهِ الْعَزِيمَةِ ! لا رَيْبَ أَنَّها جَبَّارَةٌ لا تُقْهَرُ ! »

« أَبُو حَيْزُوم » كانَ يَتَوَهَّمُ أَنَّ « سَوْسَنَةَ » تُجاذِبُهُ .

« أَبُو خُرْطُوم » كانَ يَتَخَيَّلُ أَنَّ « سَوْسَنَةَ » تُبارِيهِ .

« أَبُو حَيْزُوم » وَ « أَبُو خُرْطُوم » ظَلَّا يَتَجاذَبانِ الْحَبْلَ .

« أَبُو حَيْزُوم » لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجْذِبَ إِلَيْهِ مُنافِسَهُ .

« أَبُو خُرْطُوم » لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجْذِبَ إِلَيْهِ مُنافِسَهُ .

« أَبُو حَيْزُوم » وَ « أَبُو خُرْطُوم » اشْتَدَّ عَجَبُهُما .

أَتَعْرِفُونَ : كَيْفَ انْتَهَتِ الْمُباراةُ بَيْنَ هٰذَيْنِ الْمُتَجاذِبَيْنِ ؟

اشْتَدَّتِ الْمُجاذَبَةُ مِنْهُما ، فَانْقَطَعَ الْحَبْلُ الْمَتِينُ بَيْنَهُما !



كانَ ما حَدَثَ مُباغَتَةً ، لَمْ يَحْسِبِ الْمُتَبارِيانِ حِسابَها .

« أَبُو خُرْطُومٍ » الضَّخْمُ الْجِسْمِ ، ما لَبِثَ وَقَعَ !

جِسْمُهُ الثَّقِيلُ كادَ يَتَحَطَّمُ كُلُّهُ ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

« أَبُو حَيْزُومٍ » الْكَبِيرُ الْجُثَّةِ هُوَ الآخَرُ وَقَعَ !

كادَ يَسْقُطُ لِثِقَلِهِ ، تَحْتَ الْمَوْجِ ، فِي قَرارِ النَّهْرِ !

« أَبُو حَيْزُومٍ » عَرَفَ الآنَ قُوَّةَ « سَوْسَنَةَ » .

« أَبُو خُرْطُومٍ » عَرَفَ هُوَ أَيْضًا قُوَّةَ « سَوْسَنَةَ » .

« أَبُو حَيْزُومٍ » قالَ فِي نَفْسِهِ ، وَهُوَ فِي أَشَدِّ الدَّهْشَةِ :

« لا شَكَّ أَنَّ « سَوْسَنَةَ » أَقْوَى مَخْلُوقٍ فِي الدُّنْيا ! »

« أَبُو خُرْطُومٍ » قالَ فِي نَفْسِهِ ، وَهُوَ فِي حَيْرَةٍ بالِغَةٍ :

« لا شَكَّ أَنَّ « سَوْسَنَةَ » هِيَ أَقْوَى مَخْلُوقٍ فِي الدُّنْيا ! »

« أَبُو حَيْزُومٍ » قالَ فِي نَفْسِهِ ، وَهُوَ يُغالِبُ الْمَوْجَ :

« حَقًّا ، إِنَّ أَرانِبَ هٰذا الشَّطِّ ، عَجِيبٌ أَمْرُها كُلَّ الْعَجَبِ !

إِذا كانَتْ أَرْنَبٌ واحِدَةٌ بِهٰذِهِ الْقُوَّةِ الْخارِقَةِ وَالْعَزِيمَةِ الْجَبَّارَةِ ،

فَيا تُرَى : ماذا أَصْنَعُ ، إِذا اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ أَرانِبُ الشَّطِّ كُلُّها ؟!

حَمْدًا لِلّٰهِ عَلَى هٰذِهِ النَّتِيجَةِ : ماذا كُنْتُ صانِعًا ، لَوْ لَمْ يَنْقَطِعْ

بِيَ الْحَبْلُ ؟! كُنْتُ أَقَعُ فِي أَسْرِ تِلْكَ الْأَرانِبِ الْجَبابِرَةِ ! »

« أَبو خُرْطُوم » قالَ في نَفْسِهِ ، وَهُوَ يُحاوِلُ الْوُقُوفَ :

« حَمْدًا لِلّهِ عَلى هٰذِهِ النَّتيجَةِ الَّتي انْتَهَيْتُ الْآنَ إِلَيْها .

تُرى : ماذا كُنْتُ أَصْنَعُ ، لَوْ لَمْ يَنْقَطِعْ بِيَ الْحَبْلُ ؟ !

كُنْتُ أَقَعُ - بِلا شَكٍّ - في أَسْرِ الْأَرانِبِ الْأَقْوِياءِ ! »

هٰكَذا خَيَّمَ عَلَيْهِما الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ ، وَالرُّعْبُ وَالْهَلَعُ .

خارَتْ عَزيمَةُ الْجَبّارَيْنِ : « جَبّارِ النَّهْرِ » وَ « جَبّارِ الْغابَةِ » .

لَمْ يَبْقَ أَمامَهُما ، بَعْدَ ما حَدَثَ لَهُما ، إِلّا سُرْعَةُ الْفِرارِ .

« جَبّارُ النَّهْرِ » هَرَبَ : حَمِدَ اللّهَ عَلى سَلامَتِهِ مِنَ الْعَطَبِ !

« جَبّارُ الْغابَةِ » هَرَبَ : حَمِدَ اللّهَ عَلى خَلاصِهِ مِنَ الْهَلاكِ .

الْجَبّارانِ - كِلاهُما - فَرِحا بِالنَّجاةِ ، مِنْ بَطْشِ الْأَرانِبِ الطُّغاةِ .

سُكّانُ الشَّطِّ فَرِحُوا بِانْتِصارِ « سَوْسَنَةَ » عَلى هٰذَيْنِ الْجَبّارَيْنِ .

سُكّانُ الشَّطِّ سَخِرُوا مِنْ جِسْمِهِما الضَّخْمِ ، وَجِرْمِهِما الْكَبيرِ ، وَهُما يَرْحَلانِ عَنِ الْبُقْعَةِ ، إِلى غَيْرِ رَجْعَةٍ .

سُكّانُ الشَّطِّ اطْمَأَنُّوا بِرَحيلِ هٰذَيْنِ الْعَدُوَّيْنِ الْجَبّارَيْنِ ، شَكَرُوا اللّهَ عَلى نَجاةِ الْوَطَنِ مِنْ أَذاهُما ، وَخَلاصِهِ مِنْ شَرِّهِما .

سُكّانُ الشَّطِّ مِنَ الْأَرانِبِ الْوَديعَةِ ، أَقْبَلُوا عَلى « سَوْسَنَةَ » يَشْكُرُونَ لَها فَضْلَها ، وَيُطْلِقُونَ عَلَيْها لَقَبَ : « حارِسَةِ النَّهْرِ » .

١٠ – الذِّكْرَى الخالِدَةُ

الجَدَّةُ « عِكْرِشَةُ » قالَتْ فِي خِتامِ حَدِيثِها الشَّائِقِ :

« لَعَلَّكُمْ عَجِبْتُمْ يا أَوْلادِي الأَرانِبَ الصِّغارَ فِي أَوَّلِ حَدِيثِي ، كَيْفَ اسْتَطاعَتْ « سَوْسَنَةُ » أَنْ تُواجِهَ عَدُوَّيْنِ كَبِيرَيْنِ ، هُما : الفِيلُ « أَبُو خُرْطُومٍ » ، وَفَرَسُ النَّهْرِ « أَبُو حَيْزُومٍ » ؟ !

وَحُقَّ لَكُمْ أَنْ تَعْجَبُوا ؛ فَإِنَّ وَزْنَ مِائَةِ أَرْنَبٍ لا يَعْدِلُ وَزْنَ عُضْوٍ صَغِيرٍ مِنْ أَعْضاءِ الفِيلِ ، أَوْ فَرَسِ النَّهْرِ ! ..

وَإِنَّ قُوَّةَ مِائَةِ أَرْنَبٍ ، لا تَعْدِلُ قُوَّةَ أَصْغَرِ وَلَدٍ مِنْ أَبْناءِ الفِيلِ : « أَبِي خُرْطُومٍ » أَوْ فَرَسِ النَّهْرِ : « أَبِي حَيْزُومٍ » !

هٰذا حَقٌّ ، وَلٰكِنَّ القُوَّةَ الجُسْمانِيَّةَ لَيْسَتْ كُلَّ شَيْءٍ فِي الكِفاحِ ، وَلَيْسَتْ هِيَ وَحْدَها الَّتِي تُعِينُ عَلَى الانْتِصارِ .

هُناكَ قُوَّةُ العَقْلِ ، وَصِدْقُ العَزْمِ ، إِلَى جانِبِ قُوَّةِ الجِسْمِ ..

وَهُناكَ الحِيلَةُ النَّاجِحَةُ ، والتَّدْبِيرُ الحَكِيمُ ، وَالرَّأْيُ الرَّشِيدُ ..

وَهٰكَذا اسْتَحَقَّتْ « سَوْسَنَةُ » الزَّعِيمَةُ الشُّجاعَةُ المُنْتَصِرَةُ أَنْ تَظْفَرَ – بَيْنَ قَوْمِها – بِلَقَبِ : « حارِسَةِ النَّهْرِ » .

وَهٰكَذا كانَ حَقًّا عَلَيْنا أَنْ يُقامَ لَها هٰذا التِّمْثالُ الرَّائِعُ ، تَنْوِيهًا بِذِكْرِها ، وَتَخْلِيدًا لِمَجْدِها ، عَلَى طُولِ الزَّمانِ .

تمت القصة

(يُجابُ مِمّا فى هذه الحِكايةِ عن الأسئلةِ الآتية)

١ ـ أين كانت تتحدَّثُ الأرانبُ ؟ وماذا صنعتْ « عِكْرِشَةُ » ؟

٢ ـ لماذا كانت أرانبُ الشَّطِّ فرحانــةً ؟

٣ ـ بماذا أعجبَ الأرنبُ « دَحْداحُ » عند شَطِّ النَّهْرِ ؟

٤ ـ ما هو وصفُ التِّمْثالِ ؟ ومن الذى صنَعه ؟ ولماذا أُقِيم ؟

٥ ـ ما هى القِصَّةُ التى حكَتْها الأرنبةُ « عِكْرِشَةُ » ؟

٦ ـ ماذا قال المُؤَرِّخون فى شأنِ الأرنبةِ « سَوْسَنَةَ » ؟

٧ ـ ماذا صنعت الأرنبةُ « سَوْسَنَةُ » بِالعَدُوَّيْنِ الغادِرَيْنِ : « أوْسٍ » و« ثُعالةَ » ؟

٨ ـ ماذا طلبتْ « سَوْسَنَةُ » من الأرانبِ بعْدَ الانتِصار ؟

٩ ـ مَنْ هُما اللَّذانِ وفَدا علَى شطِّ النَّهْرِ ؟ وما حديثُهما ؟

١٠ ـ ماذا وجدت « سَوْسَنَةُ » على شطِّ النَّهْرِ ؟

١١ ـ ماذا دار بيْن « سَوْسَنَةَ » وفرَسِ النَّهْرِ ؟ وماذا طلبتْ منه ؟

١٢ ـ أين ذهبت « سَوْسَنَةُ » بعد اتِّفاقِها مع « أبى حَيْزومٍ » ؟

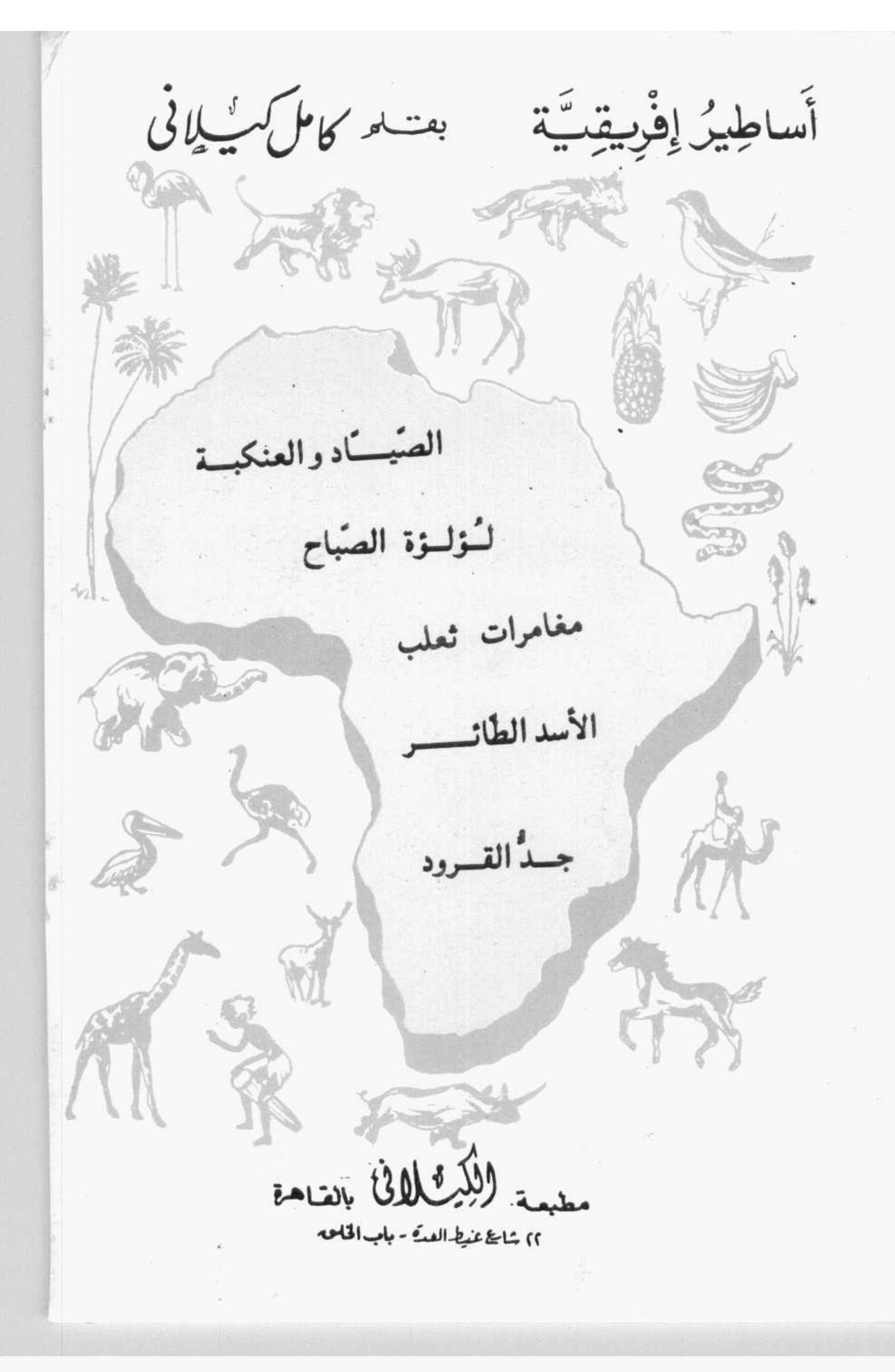
١٣ ـ ماذا طلبت « سَوْسَنَةُ » من الفيلِ : « أبى خُرطوم » ؟

١٤ ـ لماذا سخِرَ الفيلُ من الأرنبةِ ؟ وماذا دار بينَهُما ؟ وإلى أىِّ شىءٍ دَعَتْه ؟

١٥ ـ أين اختبأت « سَوْسَنَةُ » ؟ وبماذا صاحَتْ ؟ وماذا ظنَّ كلٌّ من : « أبى خُرطومٍ » و « أبى حَيْزوم » ؟ وماذا حدثَ لكلٍّ منهما ؟

١٦ ـ بأىِّ شىْءٍ تمكَّنت « سَوْسَنَةُ » من التغَلُّبِ على العَدُوَّيْن ؟ وبأىِّ لقَبٍ ظفِرَتْ ؟

(رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٧/٩١٢٠)


أَساطِيرُ إفْرِيقِيَّة
بقلم كامل كيلانى
الصيّاد والعنكبة
لُؤلؤة الصبّاح
مغامرات ثعلب
الأسد الطائر
جدُّ القرود
مطبعة الكيلانى بالقاهرة
٢٢ شارع غيط العدة - باب الخلق